



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب العاقبة للمتقين، وجعل الخذلان حظاً للكافرين والمرجفين ،  
والصلاة والسلام على إمام المجاهدين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...

زارني شيخ عزيز فاضل في داري، ولما علم أنني كنتُ تشرّفتُ بصحبة عدد من  
شهداء بلاد الرافدين طلب إليّ أن أسطرّ بعض ما يمكن عنهم، وعلى قلّة بضاعتي  
وعجزِ بياني كان لزاماً عليّ أن أجيبه لأن مثله لا يُرد.

وسرد قصص الأبطال وتراجهم، مدعاة لرفع الهمّة وتسليّة القلوب، ودفع الشباب  
والتأسي بكريم صفاتهم ونبل فعالمهم، من باب:

فتشبهوا إن لم تكونوا منهم إن التشبه بالكرام فلاح  
وليعلم الناس أن رحم النساء لا يزال وكوداً، وأن الأمهات يلدن أبطالاً يُذكّ روننا  
بخالدٍ وموسى والمثنى.

وبادئ ذي بدءٍ أحبُّ أن أقول: إنه خلال عِشرتي لكثير من الشهداء، سواء أولئك  
الذين قضوا نَحْبَهُم في روح الوغى، أو ذاك الصنف العجيب من البشر أعني  
(الاستشهاديين)...

أقول: تبيّن لي أنهم لا يخرجون عن هذه الصفات، فقد تجتمع في أحدهم أو يتمي ز  
بواحدة منها وهو الغالب.

1- اجتهاد عجيب في الطاعات، من كثرة صلاة وصيام، وخاصة قيام الليل ،  
وخدمة الإخوان وذلة لهم {أذلّ على المؤمنين} وغير ذلك من جميل المحامد ولطيف  
الصنائع.

2- سلامة الصدر وسجّية الطبع، وهذا الصنف من الشهداء عجيب إذا رأيته تظنه  
أنه ولد لتوّه من صفاء روحه وخفّة ظله، وجميل عشرته وسهولة صحبته.



وغالب صفات هؤلاء خمول الذكر، إذا سئلوا لم يُعْطُوا، وإذا حضروا لم يُعلم بهم، وإذا غابوا لا يُسأل عنهم وعلى الجملة لا يُؤبه بهم.

3- عقيدة صافية وعزيمة فولاذية، شعارهم ومبدؤهم في الحياة (أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)، قال لي أستاذهم يوماً: "ينبغي يا أخي أنه كما نتعلم أن نذلّ للمؤمنين ونحبّهم ونقرأ في ذلك الكتب، ونطيل في سير أولئك كالشهب؛ ينبغي أن نتعلم أيضاً كيف نكره الكافر وكيف نحقد عليه، وكيف تهون علينا حياتنا ما دامت ستخلص الدنيا من تن هؤلاء، لأن ذلك هو الركن الثاني من أوثق عرى الإيمان".

4- رجل أسرف على نفسه فتداركته رحم ربك ببعض ما كان منه من عمل صالح، فجعل شعاره {ففرّوا إلى الله}، ولم يعلم إلا أن الله مُنَجّ، فأقبل على الله يطلب الموت مظاهته.

هذه أربع صفات، حسب ظريي والله وليّ التوفيق، وإليك باكورة هؤلاء...

### ( أبو أسامة المغربي )

ذاك الجبل الصامت، والقلب الدافئ والإيمان الصادق، والجرد الواضح، كان حبيبي أبو أسامة قليل الكلام دائم الصمت، قليل الخلطة حُبّت إليه العزلة، أنيسه القرآن، كأنّ بينه وبين الله سر.

من بلاد المغرب، من أقصى الشمال، من مدينة طنجة، شاب في مس قهّل عمر الزهور، في السادسة والعشرين من العمر - عذراً كان في السادسة والعشرين - ، يمتلك مع أبيه مطعماً فخماً يدُرّ دخلاً لا يقلّ عن ثلاثة آلاف دولار شهرياً، اشترى قطعة أرض وتزوّج قبل مجيئه إلى أرض الجهاد بست سنوات، لكنه لم يرزق بولد.



سئم القراءة عن الجهاد وعِزّه، وهو بعدُ لم يفعل شيئاً، قرر الحبيب أن يذهب إلى ساحة من ساحات العز، لكنه لا يعرف أحداً يوصله، ولا رفيقاً يساعده ويكون معه، باع قطعة الأرض، وحجز تذكرة سفر لدولة عربية، وعزم على السفر وشعاره {عسى ربي أن يهديني سواء السبيل}.

وفجأة؛ جاءت إليه أمه وزوجه تزفّ إليه خبراً طالماً حُلم بعزفه وأنشودته، وتمنى سنين أن يسمعه: "زوجتك حامل"، ذُرفت دموع الفرح، ثم اختلى بنفسه يحدثها: "يا ويحك هذا أول البلاء، فامضِ إلى ما عَزَمْتُ، وإياك من النعمة بعد النعمة"، ومضى في عزمه يعدّ الراحلة ويتزود لسفره، وسافر إلى تلك الدولة، ولا يَعْرِف أحداً وليس معه أحد، وأخذ يدور من مسجدٍ إلى مسجد، ويُطيل الجلوسَ فيها يثُرُ الدعاء ويذرفُ الدموع إلى الله، عساه يهديه إلى من يوصله إلى طريق من طرق الجهاد، وفي إحدى المرات سمع شاباً يتكلمون بلهجته، فتعارفوا وفتحهم بعد أن ظن منهم ومن سَمَتِهِمْ أنهم مجاهدون، أو في طريقهم إلى ذلك، وص دقت فراسته، واحتملوه معهم إلى بلاد الرافدين، وكان أمير المجموعة (أبو حَبّاب الفلسطيني) رحمه الله، الشهيد البطل لعننا نعود إلى سيرته لاحقاً.

أقول وصلت المجموعة إلى بيتي، وفي ليلة من أجمل ليالي العمر، جلسنا جميعاً وتذاكرنا البيعات، وتذكرنا الصحابي الجليل عكرمة بن أبي جهل، لما بايع أصحابه في معركة اليرموك على الموت فمددنا أيدينا وتبايعنا على الموت والجهاد في سبيل الله.

وجاء وقت الوفاء، وطلب منا عمل ضد مبنى الأمم المتحدة، وإن كان قد ضرب قبلها بشهر، إلا أنه ما زال العمل فيه مستمراً، وتبقى من موظفيه ما يقارب مائة شخص، يخدمهم عدد ضخم من مرتدي الشرطة حديثة التكوين.



وتمت مراجعة المكان وكيفية ضربه، ونوعية السيارة الممكن استخدامها، وكمية المتفجرات اللازمة والطرق البعيدة عن السيطرات وإلى غير ذلك. وكان -أبو أسامة- أصدق المتابعين، وأكثرهم إلحاحاً على سرعة التنفيذ، وكان قد كلّفنا الاتصال بلّله، وإذا بأمه تبشّرنا أن ابنها رُزق بولدٍ وأسمته "أسامة"، على رمز أهل السنة والجماعة أعني "ابن لادن".

وذهبتُ إلى البيت الذي فيه أبو أسامة، أحمل في ذهني همّ العملية وأسلوب تنفيذها، واختليت بأخي وأخبرته أنه قد تم اختياره ليكون هو المنفذ لها، ففوح وطار وضحك، وأوصاني أن يبقى الأمر سرّاً بيني وبينه ولا يعلمه أحد من الشباب، حتى يتمّ فوعده بذلك، ودخلنا وجلسنا مع الشباب، وإذ بي أتذكر بشري ولادة ابنه "أسامة"، قلت؛ سبحان الله كيف أقول له ومنذ دقائق كلمته عن الاستشهاد، فاستخرتُ واستعنتُ بالله ثم بشرته، ففرح ثم خلا بي وقال بالحرف الواحد: "كنت منذ أن استيقظت مسروراً، فعلمت أن خبراً مفرحاً سيأتي، ووالله ثم والله للأول أحبُّ إليّ من الثاني".

وجاء يوم التنفيذ، فأحضرته إلى بيتي حتى يختلي بنفسه ليلة التنفيذ بعيداً عن الشباب، وأقبل على ربه يصلي ويدعو ويكي، وجلستُ خلفه أملاً العين منه، ثم قلت له وذلك في حوالي الثانية ليلاً: "أسامة استرح قليلاً (نام شوية)"، فنام ولم أنم، ونظرت إلى وجهه فكانه والله أجمل من القمر يتهلّل فرحاً فأمسكت قلمي، وجلست أكتب وأنا أنظر إليه تلك الأبيات، التي أسعفتني بها نفسي ومعرفتي باللغة:

- علّمني يا شهيد -

علمني كيف أكون شهيداً	علمني كيف أموت حميداً
علمني كيف أدينُ لربي	أدع الدنيا هناك بعيداً



علمني كيف أودع أهلي  
علمني كيف أعوف بني  
أذر الأحبة للرحيم يقيناً  
فقل لي بربك يا شهيد معلماً  
وقل لي بربك يا حبيب مبشراً  
وجهك نورٌ لا يَمَلُّ ناظره  
صمتك فكرٌ لا تحب سفاًسفاً  
فارقد أخِي قريرةً أجفانك  
جلداً صبوراً كالجبال صموداً  
غضاً طرياً في الحياة جديداً  
غير الرحيم من يعين وليداً  
أكنت يوماً للحياة مريداً  
ماذا رأيت للشهيد حصيداً  
قولك حقٌ والدليل شهيداً  
هزلك جدٌ في الأمور بعيداً  
لا خوف عليك بعد أكيداً

وفي الصباح، كان من المفروض أن أذهب معه، حتى نستطلع الهدف للمرة الأخيرة قبل التنفيذ، وهل جدّ عليه شيء.

فقلت له يا أسامة خذ هذا القميص، أحسن لك واخلع قميصك، وكان هدفي أن أخذه لي لأسباب - ليس لي فيها بدعة إن شاء الله-، وانطلقنا سوياً ولما رأى الهدف وجدنا العدو فعلاً زاد حاجزاً مهماً، فقلت: هل يعيقك للدخول قال: "لا أنا - الحمد لله - أتجاوزه بسهولة"، فظللْتُ أذكره بالله، وأن الموضع موضع نُصْرَة، وألح له أن يتماسك، فعلم مُرادِي، وأني أريد أن أسمع منه كلمة تطمئنني فقال لي كلمة ينبغي أن تُشكِّلَ بالذهب.

قال:

"اعلم يا شيخ لو أن الموت هاهنا - وأشار إلى حجرٍ أمامنا - ، ولا أستطيع أن أذهب إليه إلا زاحفاً لَزَحْتُ إليه فاطمئني".

ثم رجع واستلم عروسه "سيارته"، وطار بها أمامي، وأنا أمشي خلفه بسيارتي ، وكان يوماً مزدحماً فأخذ يناور بين السيارات كأنه في حلبة مسابقة، يريد أن يكون الفائز الأول، فلم أستطع أن أتمالك نفسي فخارت قواي وهطلت دموعي ،



وأوقفت سيارتي ورأيت أنه يتعد عني ويقترب من هدفه ، وإذا به يسقر في قلبه لينتزع  
قلوباً مجرمة ، فينعم ويشقون ، ويصعد ويهبطون ، ورأيت عمود النار يرتفع في  
السماء عشرين متراً تقريباً ، مع صوت يصم الآذان ، وإذا به يحصد خمسين كافراً  
يحادون الله ورسوله ، فرحمة الله عليك يا أبا أسامة .

بقي أن أقول : إن أبا أسامة كان قد جَهَّزَ نفسه ، أي دفع ثمن السيارة التي نفذ بها  
من ماله الخاص . فخرج بنفسه وماله ، ولم يرجع من ذلك بشيء وهذه أسمى أنواع  
الشهادة .

وعلى إثر هذه العملية ، قرّرت الأمم المتحدة أن تغادر بلاد الرافدين نهائياً ، وتعزم  
على عدم العودة إليها إلا إذا توافرت لها الدواعي الأمنية المناسبة ، ونقول بدون  
قسم لئن عادوا لَنُعَوِّدَنَّ ولن نزيد ، والله الموفق .

أسأل الله أن يجمعنا به ولا يجرمنا أجره ولا يفتننا بعده آمين... والحمد  
لله رب العالمين .

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر